

معا نحو مسيرة القيامة

الاب شموئيل الشماس اثنييل

عندما خلق الله كل شيء، بما في ذلك الانسان وكل الموجودات، خلقه حسن وحسن جداً ومنح للانسان صورته ومثاله وبنى معه عهد كان مطلوب منه المحافظة عليه من خلال طاعته لله، دون فرض او تقييد حرية، لانه (الله) لو اراد تقويض حرите لما اعطاه الصلاحية في تسمية كل المخلوقات، وكعادة الانسان ورغبته في البلوغ السهل الى القمة ونشوته في التسلط اصبح فريسة سهلة بيد الحية (التي تمثل كائناً يُقاوم الله ويُعادي الانسان) ليأتي ويلعب دوره في إغواؤه وإسقاطه من مجده الذي منحه اياه الله.

وهنا بدأت المسيرة الصعبة للانسان، مسيرة التعب والشقاء، مسيرة العلاقة المقطوعة مع الله من خلال عدم الطاعة، مسيرة مليئة بالشوك، مسيرة الخجل من الاخر، "فنادى الرب الاله الانسان وقال له: أين أنت؟ قال: إني سمعتُ وفَعَّ حُطَاكَ فِي الْجَنَّةِ لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَاجْتَبَأْتُ، قَالَ: فَمَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَمَرْتُكَ أَلَّا تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك 3:9-11).

نعم اصبحا عريانين من طاعة ومحبة الله الاب بعد أن تم اغوائهما (برغبتهما) من قبل المجرب، وتيقظت عندهم الشهوة التي تُعتبر أول ظواهر الاضطراب الذي تُدخله الخطيئة على نظام الطبيعة . واستمرت مسيرة هذا الشعب على هذا المنوال حيث اصبحوا يعيشون حياة العبودية، عبودية الخطيئة من جهة والمتسلطين عليهم من جهة ثانية.

مُخَطِّطُ اللَّهِ الْخَلَّاصِي لِلْبَشَرِ

بعد أن سقط الانسان الاول من الفردوس بخرقه لما أوصاه الله دخل في مرحلة صعبة إتسمت بعلاقة متذبذبة مع الله ولمحبته للانسان لم يتركه دون عناية فكان للانبياء دور كبير في إعادة بناء هذه العلاقة المترعزة مع الله، ولكن بطريقة نسبية وغير مطلقة فتراه يرجع الى الله عند الضيق وما ان تُفرج عليه يبدأ بالتذمر لا بل يحن الى ما كان عليه سابقاً وللأسف كثيراً ما نجد الانسان يحن الى الخطيئة عندما يشفى من وقعها عليه ولربما هذا هو السبب لعودته الدائمة

إليها، وإستمرّ الانسان على هذا المنوال الى أن ارسل ابنه الوحيد حيثُ رسم لنا مرحلة جديدة وعظيمة من التدبير الخلاصي الذي بدأ منذ نشأة العالم فشرع لنا الطريق الذي به يعلمنا كيفية الرجوع الى الله الاب. وقد تحقق هذا التدخل من خلال مريم البتول التي حبلت وولدت يسوع كلمة الله الاب بين البشر، نعم انه تدخل رائع، الله الاب يكلمنا بلغة نفهمها ويحل بيننا كإنسان لا بل إنسان كامل.

مِن الْعُبُودِيَّةِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ

لَمْ يَكُنْ تَدخُلُ اللهُ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ لِيُقَيِّدَهُ فَهُوَ كَمَا ذَكَرْنَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ فِي الْفَرْدُوسِ وَإِنَّمَا تَدخُلُ اللهُ هُوَ لِيَقُودَ حَيَاتِهِ وَيُرِيَهُ كَيْفَ يَنْهَضُ مِنْ جَدِيدٍ مِنَ السَّقَطَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا وَتُوجِبَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ بِالْحُرِّيَّةِ الَّتِي مَنْحَهَا اللهُ لِلْإِنْسَانِ كَمَا يَذْكَرُ بُولْسُ لَاهِلْ رُومِيَّةً: "أَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفُسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللهِ" (رُومِيَّة 12:8)، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ حَدَدْنَا طَرِيقَةً جَدِيدَةً مِنْ أَجْلِ تَجْدِيدِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ الَّذِي تَمَّ خَرْقُهُ بِأَرَادَةِ الْبَشَرِ وَبِتَنْفِيذِهِ وَمَنْحِ لَنَا صِفَةَ الْبُنُوَّةِ ذَلِكَ الَّذِي عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ إِلَى اللهِ قَائِلِينَ "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ إِسْمُكَ..". هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي لَا تُمْنَحُ لِلْعَبِيدِ بَلْ لِلْأَحْرَارِ، وَهُوَ بِقِيَامَتِهِ حَرَّرَنَا مِنْ عِبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ. كَمَا نَقَرْنَا فِي هَذِهِ التَّرْتِيلَةِ الرَّائِعَةِ: "كُلُّ الْخَلَائِقِ تَجَدَّدَتْ بِالْمَسِيحِ، حَيْثُ هُوَ رَأْسُ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ، وَبِهِ بَطُلٌ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، وَأَقَامَ الْأَمْوَاتَ بِنْدَائِهِ، وَالشَّيْطَانَ يَتَحَسَّرُ بِمَرَارَةٍ وَيَقُولُ: الْوَيْلُ لِي حَيْثُ أَصْبَحْتُ إِضْحُوكَةً لِأَدَمِ وَأَبْنَاءِهِ، حَيْثُ حَلَّنِي يَسُوعُ مِنْ سُلْطَانِي وَبَدَّدَ مَقْنِيَاتِي مِنْ يَدَيْهِ وَبِقِيَامَتِهِ وَرَزَعَ الْحَيَاةَ لِكُلِّ جَنْسِهِ."

(كتاب الحوذرا، الجزء الثاني، ترتيلة الصباح لأحد القيامة صفحة 331).

مِن خَيْبَةِ الْأَمَلِ إِلَى الرَّجَاءِ بِالْحَيَاةِ:

إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَصْبِحُ دُونَ عَهْدٍ أَوْ مِيثَاقٍ أَوْ مِنْ يَصْبِحُ دُونَ شَرِيكَ وَسِنْدٍ، إِنَّهُ وَبِلا شَكِّ إِنَّسَانٌ مَيِّتٌ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُدْفَنْ، هُوَ إِنْسَانٌ مَجْرَدٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (عريان) لَا يَفْكَرُ إِلَّا بِمُصْلِحَتِهِ الْخَاصَّةِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ مَنْ يَعِيشُ حَوْلَهُ مَتَاسِيًا ذَلِكَ الَّذِي صَعَدَ عَلَى خَشْبَةِ الصَّلِيبِ بِاسْطِطَاءٍ

يديه أفقياً ليشير الى فكرة تقوية مبدأ الاخوة والمحبة بين البشر رابطاً بين الارض والسماء بين البشر والله، يبرهن لنا عملياً ما علمه سابقاً "احبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا ايضاً" مثبتاً ايانا على محبة القريب واحترامه وخدمته كشرط اساسي لمحبتنا للاب والافلن يكون لنا نصيب معه في الفردوس كما وعد للص اليمين "الحق اقول لك: انت ستكون معي اليوم في الفردوس" (لو 23: 43).

إن علاقتنا مع الله الاب كلما كانت مبنية على احترام ومحبة الاخر لن يكون امامنا أي عائق لتكملة مشيئته على الارض، لن نكون مثل النسوة اللاتي اتين الى القبر ليدهن جسد يسوع بالطيب وبقين يتجادلن عن من الذي سيدحرج لنا الحجر؟ وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: "مَنْ يُدْخِرُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟" (مر 3:16)، وكذلك لن نكون مثل تلميذي عماوس (لو 13:24-32) اللذين سيطرت عليهم خيبة الامل وفقدانه لانهما لم يفكرا بيسوع الذي دعا الى تأسيس ملكوت الله في عمق باطن الانسان بل كانا كباقي اليهود يتوقون الى تأسيس مملكة ارضية تخلصهم من الحكم الروماني ولكن يسوع كان غايته ان يحرر الانسان من ذاته التي باتت تقتله لانها ابعده عن الجوهر الذي من اجله خُلِقَ.

لذلك ايماننا بيسوع هو كفيل بازالة كل الاحجار التي تعوقنا من الوصول الى ذلك الذي بذله حياته من اجلنا فاتحاً بهذا العمل طريق المعمودية المقدسة وشرب الكأس المر وهو ذاته كفيل بفتح اذهاننا قبل عيوننا كي نعرف ذلك الذي بارك وكسر الخبز واعطانا ذاته دون مقابل. انه طريق الجلجثة، طريق الايمان، طريق تسليم الذات، هذا الطريق الذي فيه نتوقع كل شيء، علينا أن نكون مستعدين لحمل الصليب كما حمل سمعان القيرواني الصليب عوض الرب عندما طلب منه.

يبقى طريق الرب ذلك السر العظيم المبني على المحبة اللامتناهية التي لم ولن ندركها ابداً، ولكن الرب دعانا اليه لنعيش معه ولنكون نحن ايضاً سراجاً مضيئاً للاخرين ليتسبح بنا اسم الرب يسوع المسيح له المجد.